أحمد التيفاشي وإسهاماته العلمية

مليكة بن عطاء الله

جامعة ورقلة

ملخَّص:

جاء هذا البحث لينفض غبار النسيان عن شخصية من تراثنا العربي الإسلامي من القرن السادس الهجري هو: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، الذي كان لإسهاماته العلمية الأثر العظيم على نشأة علم المعادن الحديث في أوروبا، فقد ألَّف التيفاشي في علوم لم يُسبق إليها كعلم الجيولوجيا و علم الأرصاد الجوي وتاريخ و جغرافية الأنهار وغيرها...وتميزت مصنفاته بالدقة العلمية و الموضوعية، واعتمد في منهجه العلمي على الملاحظة و التجربة. ومازال جزء من مؤلفاته قابعا في مكتبات متفرقة من العالم كمكتبة الكونغرس الأمريكي، ومكتبة جامعة أكسفورد، ومكتبة باريس، ومكتبة هولندا ، ومكتبة اسطنبول بتركيا، و غيرها. تنتظر من يبعث فيها الحياة.

Résumé:

La présente recherche est venue dégager l'oublie sur une personnalité de notre patrimoine islamique arabe du sixième siècle Hégire. Il s'agit de CHIHAB EDDINE ABOU-ELABBAS AHMED IBN-YOUCEF ETTIFACHI, dont les œuvres scientifiques ont eu l'impact remarquable sur la naissance de la science contemporaine des minéraux en Europe, il a écrit dans des disciplines qui n'étaient pas connues auparavant, tels que la géologie, la météorologie, l'histoire, la géographie des fleuves et autres. Ses œuvres ont étaient connues par la précision scientifique et l'objectivité. Il s'est basé dans sa méthodologie scientifique sur l'observation et l'expérimentation. Une partie des ses œuvres subsiste encore dans différentes bibliothèques du monde telles

que la bibliothèque du Congrès américain, la bibliothèque de l'université d'Oxford, la bibliothèque de Paris, la bibliothèque de la Hollande, la bibliothèque d'Istanbul Türkiye et encore d'autres. Ces œuvres attendent celui qui va leur en rendre de la vie.

مقدمـــة

تمتلك الأمة العربية تراثا فكريا عريقا في مختلف العلوم و الفنون يمتد عبر حقبة زمنية طويلة، فلقد كان لِمَا صنَّفه علماء المسلمين في شتى العلوم و الفنون وما ترجموه من علوم الأمم الأخرى أثر قوي في نهضة الأمة الإسلامية و تصدرها ركب الحضارة، ولعله لم تهتم أمة بتصنيف المعاجم و الكتب العلمية كما اهتم العرب. و مازالت المخطوطات و الكتب العلمية القيمة تنتظر من ينفض عنها غبار الإهمال و النسيان ويقدمها للقارئ، فمعظم تراثنا ما زال إلى الآن لم يدرس بعد ، وإن أكثر ما حُقِّق من هذا التراث العربي كان على أيد أجنبية و أشير هنا إلى الجهود العلمية الضخمة التي قام بها العلماء الألمان في تحقيق و نشر جزء كبير من تراثنا؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد قام "المستشرق الألماني غوستاف فلوجيل (ت1870) بنشر كتاب " كشف الظنون" لحاجي خليفة، و "الفهرست" لابن النديم، و قام المستشرق الألماني فليشر (ت1888م) بنشر "تفسير البيضاوي" و " المفصل " للزمخشري، كما نشر المستشرق الألماني فرديناند قستنفلد (ت1890م) بنشر "طبقات الحفاظ" للذهبي و "سيرة النبي" لابن هشام و "وفيات الأعيان" لابن خلكان و "معجم البلدان" لياقوت الحموي، "[1]. كما نُشر كتاب "الفلاحة" لابن العوام الاشبيلي (من علماء القرن السادس الهجري)، في جزأين في مدريد سنة1217ه ـــــ 1802م بتحقيق و ترجمة جوزيف انطونيو بانكري (ت1818م)[2].

وحقّق المستشرق السويدي لوين بجامعة أوبسالا السويدية كتاب " النبات " لأبي حنيفة الدينوري (282ه) الذي يُعد من أكثر المعاجم جمعا للمادة وأعظمها أثرا في معاجم النبات[3].

وقام المجلس الأعلى للأبحاث العلمية في مدريد 1943م بنشر كتاب "عمدة الطبيب في معرفة النبات" لأبي الخير الاشبيلي ـــــــ (عاش في القرن السادس الهجري) ـــــــــــ وهو معجم له أهمية علمية ولغوية كبيرة في مجال النبات و الطب، ثم حققه محمد العربي الخطّابي سنة 1990م، وأشرفت أكاديمية المملكة المغربية على طباعته، بعد أن كان في طي النسيان و الإهمال لقرون في خزانة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد[4]. وغيرها الكثير، فقد ترجم وحقق ونشر المستشرقون الغربيون العشرات من المخطوطات العربية، وقد ظلت هذه الكتب العلمية مصدرا هاما للمصطلحات وللمادة العلمية على حد سواء يستنير بها من جاء بعدهم من العلماء.

من هو التيفاشي؟:

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي الملقب أحياناً بـــ" القفصي" وأحياناً أخرى ب"القيسي" ، قاضي وطبيب و لغوي وأديب وشاعر و جغرافي و فلكي، و الأهم أنه اشتهر كعالم معادن وحجارة، كما أنه يعد أول من ألّف من المسلمين في علم الأرصاد الجوي. يعتبر هذا العالم أحد أعلام المسلمين، ومن مفاخر الإنسانية كلها، إذ استطاع أن يبدع في إنتاجه وبخاصة في حقل علم المعادن، مما جعل حتى علماء أوروبا يعترفون له بالفضل والسبق والنبوغ، وهو مجال لم يُسبق إليه، فقد كان له شرف تصنيف كتب علمية، إذ يرجع إليه الفضل في ابتكار أول تصنيف علمي صحيح للمعادن، كما أنه وضع أول كتاب علمي في الأرصاد الجوي.

نسبه و مولده و نشأته:

ولد التيفاشي سنة 580ه (1184م) في عهد دولة الموحدين بتيفاش وهي بلدة بولاية سوق أهراس، ورد ذكرها في كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار"[5]،

وفي عصره كانت تيفاش تابعة لمدينة قفصة التونسية لذلك يكنى في بعض المراجع بالقفصي، كما يكنى بالقيسي وذلك نسبة إلى قبيلته.

كان أبوه حاذقاً في حرفة الأحجار الكريمة، وقد تولى منصب القضاء في مدينة مسكانة (المعروفة اليوم بمسكيانة بولاية أم البواقي شرق الجزائر)، وقد ورث التيفاشي عشقه للأحجار و الجواهر عن أبيه، إضافة إلى ميله إلى علم الجيولوجيا.

حفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ العربية في كتّاب قريته، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس ليقطف من أزاهير العلم وأصوله وفنونه من يد مجموعة من العلماء منهم أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن جعفر المقدسي، بعدها و في سن مبكرة لم يبلغ الرابعة عشرة من العمر غادر إلى مصر أين جلس إلى علمائها و أخذ عنهم من أمثال أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي (ت 613 ه) عالم اللغة والحديث و أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، ثم سافر إلى دمشق و بغداد، ثم عاد إلى قفصة ليعين في وظيفة القضاء التي لم يستمر فيها طويلا، ليستأنف رحلاته العلمية فزار أرمينية و بلاد فارس و تركستان و بلاد ما وراء النهرين و سرنديب (سريلانكا) و اليمن و بلاد الشام و مصر و المغرب و الأندلس، و في رحلته الثانية إلى بلاد المشرق فقد زوجته و أولاده غرقا في البحر وبعد نجاته استقر به المقام بمصر في كنف الملك الكامل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ملك الديار المصرية، وتولى بها القضاء كما تولى التدريس حيث تخرج على يده العديد من العلماء، وعينه الملك الكامل رئيسا لدائرة التعدين.

في مصر ألف كتابه الشهير "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار". قضى بقية حياته بمصر يصحب ويجالس العلماء و الأدباء، يتبادل معهم المناقشات العلمية و الفكرية و يتناشدون الأشعار، ويدونون الأخبار، ولم يتوقف عن الكتابة و التأليف حتى أصيب بالصمم و ضعف البصر في السنوات الأخيرة من عمره، و كانت وفاته رحمه الله في 13 محرم سنة 651 هـ [6] بالقاهرة و دفن بمقبرة باب النصر.

قال عنه العلامة محمد بن قاسم مخلوف (ت 1360ه) في كتابه "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" الإمام العلامة الفاضل البارع في الأدب و علوم الأوائل، كان له الشعر الحسن و النظم الجيد و المصنفات العديدة في فنون من العلم" [7].

منهجه في البحث العلمي:

تميز التيفاشي بنزعة علمية متحفظة، إذ كان يرد الكثير من الخرافات والأساطير التي كان يزخر بها التراث والكتابات اليونانية، وإذا اضطر إلى إيراد شيء منها كان ينسبه إلى مرجعه، كما كان التيفاشي ميالاً إلى التجريب بنفسه، والحصول على نتائج بحوثه، وكذلك كانت لديه موهبة الوصف الدقيق للأشياء، وعموماً كان للتيفاشي منهج يقوم على التجربة والملاحظة الشخصية والواقعية والأمانة في النقل وتسجيل الحقائق والنتائج العلمية.

و يقوم تصنيفه العلمي للمعادن على أساس تشابه الخواص، أي ضم المعادن المتقاربة في فصل واحد، وقد كان العلماء من قبله يصنفون المعادن بحسب الترتيب الأبجدي، إذ كانوا لا يعرفون شيئاً عن تركيب المعادن وكانوا لا يعرفون شيئاً عن الخصائص الفيزيائية الحقيقية لها باستثناء اللون، كما وضع نظريات في أصل تكون الخامات. وهو أول من شرح ظواهر التشقق، والتسويس، والطرائق، وغيرها من الظواهر في علم المعادن والتشقق هو التشعير، والطرائق هي التوأمة حيث تكوُّن البلورة من توأمين أو أكثر ، علاوة على أنه أول من استخدم اختبار اللهب في التحقق من جوهر المعدن أو الحجر الكريم . وأوضح التباين في سلوك الضوء بعد مروره خلال المعادن المختلفة انكساراً وتشتيتاً، وكان يسمي الظاهرة كلها الشعاع، وقد ميز منه الشعاع العادي والشعاع العظيم، وشرح ظواهر أخذت في ما بعد أسماء حديثة، مثل: التكون الثنائي الذي يميز بلورات الياقوت الداكنة الألوان من غيرها من المعادن الملونة[8] .

مؤلفـــــــــــــــــــــــــــاته:

خلَّف التيفاشي تراثا موسوعيا ضخما شمل موضوعات شتى ، في علوم البلدان، والمعادن، والطب، والأدب، والشعر، والفنون، كما نبغ أساسًا في علم

"الجيولوجيا" (Géologie)، وبصفة خاصة في الدراسات والبحوث المتصلة بـــ"علم المعادن"، و"الأحجار" (Minéralogie)، لكنه أحاط أيضًا إحاطة واسعة بعلوم الجغرافيا والأرصاد الجوية وألف فيها، يعود له شرف السبق بوضع أول تصنيف علمي صحيح للمعادن، وهذا التصنيف يعد أساس التصنيف العلمي الحديث المعمول به في عصرنا الحالي. كما اهتم بالبحث في أصول المعادن التي تناولها بالدراسة، ودأب في مؤلفاته عن المعادن والأحجار، على محاولة تفسير أسباب وجودها في الطبيعة، ومما يحسب له أنه وضع نظرية خاصة بأصول بعض المعادن الثانوية تتفق في جوهرها مع النظريات الحديثة في هذا المجال.

لم يطبع من مؤلفاته إلا القليل و كثيره لا زال مخطوطا حبيس المكتبات و بعضه الأخر في حكم المفقود، وقد أرجع بعض الباحثين ضياع كتبه إلى نفاستها مما أغرى الناس بالاستئثار بها فضاع معظمها، ومن أهم مؤلفاته:

مؤلفاته في الجيولوجيا وعلم المعادن

– "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار": وهو كتاب في علم المعادن، ورد ذكره في كتاب " كشف الظنون" لحاجي خليفة (ت 1067ه)[9]، وقد انتهى من تأليفه سنة 640ه (1242م)، يقع في خمسة وعشرين فصلا يختص كل فصل بدراسة معدن من المعادن. وقد درس كل نوع من حيث: تكوّن الحجر في معدنه، جيّده و رديئه، خواصه في ذاته، قيمته و ثمنه.

طبع أول مرة سنة 1818م مع ترجمة للغة الايطالية، بمطبعة مدينة فلورانسا من طرف الكونت الايطالي رينريه بيشيا، وهي طبعة ناقصة عن النسخ الخطية الموجودة في خزائن العالم ، منها نسخة بمكاتب القسطنطينية كتبت سنة 695ه ، وعدَّد بروكلمان ما يربو عن عشرين مخطوطة لهذا الكتاب بالمكتبات المختلفة عدا ما لم يره مثل مخطوطة مكتبة الكونغرس الأمريكي وغير ذلك. وقد أعيد طبعه سنة 1977 م

من طرف الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة، وهي طبعة منقحة ومحققة و مذيلة بتعليقات هامة للدكتور محمد بسيوني خفاجي.

يؤكد المنصفون من مؤرخي العلم الأوربيون، أن هذا الكتاب كان له الأثر العظيم على نشأة علم المعادن الحديث في أوروبا على يد الفيزيائي الألماني "جورجيوس أجريكولا" (Georgius Agrcola) (1555)، وهم يؤكدون أيضًا أن بعض العلماء الأوربيين اقتبسوا الكثير من أبحاث التيفاشي ونظرياته التي حفل بها هذا الكتاب، ونسبوها لأنفسهم من دون الإشارة إلى صاحبها الأصلي[10].

– الأحجار التي توجد في خزائن الملوك و ذخائر الرؤساء: " رتبه على 35 بابا ذكر فيها 35 حجرا، تكلم على كل منها بخمسة أوجه، تكوُّنه وتكوّن معدنه، وجيده و رديئه وخواصه وقيمته، طبع قسم منه في الأحجار الكريمة والجواهر في مدينة أوتراخت على نهر الراين في هولندا سنة 1784م".[11]

– "خواص الأحجار و منافعها": توجد نسخة منه بباريس وهي نسخة مبتورة و ناقصة، و حسب ما يبدو من عنوانه فهو يذكر خواص الأحجار سواء الكريمة منها و غيرها وفائدة كل نوع ومنافعه.

مؤلفاته في الطب

– "الشفاء في الطب المسند عن السيد المصطفى": توجد نسخة منه مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم 515 ميكروفيلم. وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت دار المعرفة سنة 1988م.

– "الوافي في الطب الشافي".

– "المنقذ من التهلكة في دفع مضار السمائم المهلكة": وهو من الكتب المفقودة وقد ذكره التيفاشي في خاتمة كتابه "أزهار الأفكار" حيث جاء في آخر النسخة المحفوظة بمكتبة اسطنبول بتركيا، حيث يقول " يتلوه كتاب المنقذ من التهلكة".

مؤلفاته في علم الجغرافية

– "سجع الهديل في أخبار النيل": هذا الكتاب هو موسوعة في تاريخ وجغرافية نهر النيل، قال عنه السيوطي في كتابه حسن المحاضرة، و المقريزي في كتابه المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار: أنه أهم مرجع معروف في زمانه عن نهر النيل. فهو موسوعة اشتملت على وصف حوض النيل وذكر أحواله و فيضانه و مزروعاته، و ما قيل فيه من أشعار، ومما أورده التيفاشي فيه " ... أن الله سبحانه و تعالى لم يسم من انهار العالم إلا نهر النيل و أستشهد بأقوال المفسرين في تفسير اليم بأنه نهر النيل في الآية الكريمة : {﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ الآية 39 من سورة طه، كما ذكر أن نهر النيل من أنهار الجنة.

وقد استشهد السيوطي بكلام التيفاشي في حديثه عن النيل في كتابه (حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة) وذلك في أكثر من موضع من الكتاب[12].

ومن أمثلة استشهادات السيوطي بكلام التيفاشي قوله:" قال التيفاشي: اتفق العلماء على أن النيل أشرف الأنهار في الأرض لأسباب:

منها عموم نفعه، فإنه لا يُعلم نهرٌ من الأنهار في جميع الأرض المعمورة يسقي ما يسقيه النيل.

ومنها الاكتفاء بسقيه، فإنه يُزرع عليه بعد نضوبه، ثم لا يُسقى الزرع حتى يبلغ منتهاه؛ ولا يُعلم ذلك في نهر سواه.

ومنها أن ماءه أصحُّ المياه و أعدلها و أعذبها و أفضلها.

ومنها مخالفته لجميع أنهار الأرض في خصال هي منافع فيه، ومضارّ في غيره.

ومنها أنّه يزيد عند نقص سائر المياه، وينقص عند زيادتها؛ وذلك أوان الحاجة إليه.

ومنها أنّه يأتي أرض مصر في أوان اشتداد القيظ والحرّ ويبس الهواء.[13]

وكلامه عن النيل دقيق جدا و مبني على حقائق علمية، كما يدل على علم وخبرة ودراية بالأرصاد الجوي و بالجغرافيا.

يقول في موضع آخر:"

" قال التيفاشي: سبب زيادة النيل هبوب ريح يسمى الملثن، وذلك لسببين أحدهما أنها تحمل السحاب الماطر خلف خط الاستواء فتمطر ببلاد السودان و الحبشة و النوبة، و الآخر أنها تأتي في وجه البحر المِلْح، فيقف ماؤه في وجه النيل، فيتراجع حتى يروى البلاد."[14]

مؤلفاته في علم الأرصاد الجوية

– "طل الأسحار على الجلنار في الهواء و النار وجميع ما يحدث بين السماء و الأرض من الآثار": وهو كتاب مفقود، موضوعه علم الأرصاد الجوي تناول فيه التيفاشي حقائق علمية يؤكدها العلم الحديث كعلاقة الفصول الأربعة بزيادة مقدار الليل و النهار، و دلائل المطر والصحو و البرق و الرعد وهالة القمر و قوس قزح و الرياح و الضباب و الأعاصير و الزلازل والكسوف و الخسوف. وقد اختصر الكتاب و نقل منه الكثير من العلماء من أمثال ابن منظور و القلقشندي و الجبرتي وابن الأكفان و غيرهم.

مؤلفاته في الشعر

– "الديباج الحسناوي في شعري ابن هاني": وهو كتاب شرح فيه ديوان ابن هاني الأندلسي(ت 363ه)

– "درة الآل في عيون الأخبار و مستحسن الأشعار": و هو كتاب ضمنه مجموعة من القصائد و المقطوعات الشعرية المختارة، وقد عثرت على بعض المقطوعات الشعرية من نظمه في كتاب الوافي بالوفيات، منها[15]:

ويوم سرقناه من الدَّهر خلسة بل الدَّهـــرُ أهـــداه لنـــــا متفضّلا
أشبِّهه بـــــين الظلامين غرَّةً لحسناء لاحتْ بين فرعين أُرسلا

ومنه:

نبِّـــه نديمك إنَّ الدِّيك قـــــد صخبا و الليل قـــــوَّض من تخييمه الطُّنُبا
والفجر في كبد الليل السقيم حكى سِرَّ المتيَّم عـــن إخفـــاقه غُلُبـــا
كـــأنه بظـــلام الليل ممتزجـــــا سمـــراء تفترُّ أبدت مبسما شنِبـــا
كأنما الفجر زند قـــادح شـــررا في فحمة الليل لاقى الفحم والتهبا
كأنَّ أول فجـــــر فـــارس حملت راياته البيض في إصر الدجى فكبا
كأنَّ ثاني فجـــــر غُـــرَّةٌ وضحت تسيل في وجـــه طِرْفِ أدهـــمٍ وثبـــا

ومنه في الزلزلة:

أما تـــرى الأرض في زلزاله عجبـــا تدعو إلى طاعة الرحمن كلَّ تقي
أضحت كوالـــدة خرقـــاء مرضعـــةٍ أولادها درَّ ثـــدي حافـــل غـــــدِق
قـــــد مهَّدتهم مِهـــاداً غير مضطرب و أفـــرشتهم فراشـــا غير مـــا قلـــق
حتى إذا أبصرت بعض الذي كرهت مـــمَّا يشقُّ مـــن الأولاد في خُلـــــق
هـــــزَّت بهـــم مهـــدها شيئـــا تنهنهـــم ثم استشاطت و آل الطبعُ للخـــــرق
فصكَّت المهد غضبى فهي لافظـــــــةٌ بعضاً على بعضهم من شِدَّة النزق

مؤلفاته في الأدب والفنون

– "سرور النفس بمدارك الحواس الخمس": وهو جزء من كتاب ((فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب))، حققه الدكتور إحسان عباس ونشرته المؤسسة العربية للدراسة بيروت سنة 1980م.

ومما ورد للتيفاشي في " سرور النفس":

"وللقمر من أول ظهوره إلى آخر سراره أسماء الهلال والطالع والرمد ونمير و الزبرقان والباهر والزمهرير و الغاسق و طويس و أويس وزرين و ذخير والبدر و الجلم وعفراء و الساهور والسهر والعقيب وابن جمير وقيل إن ابن جمير اسمه إذا استسر، و السلتي، وهو اسمه باليونانية وقد نكلموا به، والقمر وسمير"[16].

– "فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب":

ويعدُّ هذا الكتاب موسوعة كبيرة في مختلف العلوم من تاريخ و قانون و لغة و أدب، وقد فقدت أجزاء كثيرة منه، وهو يقع في أربعة وعشرين مجلداً (24)، قال عنه الصَّفدي: " له كتاب كبير إلى الغاية وهو في أربع و عشرين مجلدة جمع في علم الأدب و سمَّاه ((فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب))، ورتبه و بوّبه وجمع فيه من كل شيء و تعب عليه إلى الغاية. و لم أقف عليه لكن رأيتُ الذي اختصره منه الفاضل جلال الدين محمد بن المكرَّم وسماه ((سرور النفس بمدارك الحواس الخمس)) وهو كتاب جيد وجمعٌ جيد يدلُّ على فضل جامعه" [17].

وقد ألّف التيفاشي هذه الموسوعة وأهداها للصاحب محي الدين ابن ندي الجزري (ت 651ه) صاحب جزيرة ابن عمر.

لكن العمل الذي قام به ابن منظور(ت 711ه) صاحب لسان العرب لهذه الموسوعة ، هو أنه اختصر الموسوعة و هذَّبها، في كتاب سماه " نثار الأزهار في الليل و النهار"، وقد وجدتُهُ في مقدمة الكتاب يوضح السبب في تلخيصه يقول: " وكنت في أيام الوالد رحمه الله أرى تردد الفضلاء إليه، وتهافت الأدباء عليه، ورأيت الشيخ شرف الدين احمد بن يوسف التيفاشي العبسي في جملتهم و أنا في سن الطفولة لا أدري ما يقولونه، ولا أشاركهم فيما يلقونه غير أني كنت اسمعه يذكر للوالد كتابا صنفه أفنى فيه عمره ، واستغرق دهره، و أنه سماه " فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب" و انه لم يجمع ما جمعه فيه كتاب، وكنت على صغر السن أنكر تجاسره على هذا الاسم الذي عده عز وجل من النعمة، ومنَّ على نبيه بأنه أتاه فصل الكتاب مع الحكمة، وكنت شديد الشوق إلى الوقوف عليه، وتوفي الوالد رحمه الله في سنة خمس وأربعين وستمائة وشغلت عن الكتاب وتوفي شرف الدين التيفاشي بعده بمدة فلما ذكرته بعد سنين وقد جاوزت الستين تطلبّته من كل جهة، ورمته من كل وجهة، فلم أجد من يدلني عليه، ولا من يذكر انه نظر إليه، فبذلت الجهد في طلبه إلى أن ظفرت عند شخص من أصحابه، فسعيت إلى بابه وبذلت له جملة لم تكن في

حسابه، فلم يسمح لي مع فقره ببيع و لا عارية، ولا استحسنت تملكه باليد العادية ، وعدت إلى طلبه منه واستعنت عليه بمن لا غنى له عنه فلم يفد فيه سؤال و لا شفاعة ولم يعط لنا فيه طاعة، إلى أن قدَّر الله تعالى تملكه في سنة تسعين و ستمائة، فرأيته مجردا في مسودات و حرارات، وظهور و تخريجات، وقد جعله من تجزئة أربعين جزءا لم أجد منها سوى ست و ثلاثين ربطة وهو في غاية الاختلال لسوء الخط و عدم الضبط، ولو لم يكن تكرر وقوفي على خطه في زمن الوالد و عرفت اصطلاحه في تعليقه لما قدرت على قراءة حرف منه، غير أني عرفت طريقته في خطه واصطلاحه وتحققت فساده من صلاحه...فأخذت زبده، ورميت زبده ...وبذلت في تنقيحه جهدي فإنه روضة المطالع، ونزهة القلوب و المسامع، يسر به الخاطر، ويقرُّ به الناظر، والى الله الرغبة في الصفح عن مصنفه وعني، والعفو عما صدر منا فإن العفو غاية التمني، وسميت هذا الكتاب ((نثار الأزهار في الليل و النهار وأطايب أوقات الأصايل والأسحار وسائر ما يشتمل عليه من كواكبه الفلك الدوار)). "[18]

– "الدرة الفائقة في محاسن الأفارقة": وقد أهداه لابن العديم صاحب كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب"، حين لقيه بالقاهرة، وهو كتاب يتحدث فيه عن فضائل أهل تونس، ودورهم العلمي والثقافي، ويذكر ما اتصفوا به من الفروسية والأخلاق الحسنة.

ـــــــــ "مشكاة أنوار الخلفاء وعيون أخبار الظرفاء": ذكره محمد بن عبد المنعم الحميري (يرجح أنه توفي 900 هـ حسب حاجي خليفة) في كتابه " الروض المعطار في خبر الأقطار، " حيث قال عنه :" وهو كتاب مطول حسن ممتع ضاهى به عقد ابن عبد ربه فأبدع" [19] ــ إضافة إلى كتاب "متعة الإسماع في علم السماع" في الموسيقى، كتاب "في البديع"؛ حيث جمع فيه سبعين نوعًا من أنواع البديع، وقد ذكر جملة كبيرة من أنواع البديع والألوان البلاغية الواردة في القرآن الكريم وفي خطب العرب وأشعارهم.

خلاصة القول:

لقد أغنى التيفاشي المعرفة الإنسانية بمؤلفات علمية دقيقة في علوم لم يُسبق إليها، وحسبه هذا شرفا، وهي مؤلفات قدمت الكثير للغرب خاصة، فكتبه في علم الجيولوجيا كان لها الأثر العظيم في نشأة هذا العلم عند الغرب، كما أن منهجه اتسم بالعلمية و الموضوعية وهو الأساس الذي تقوم عليه العلوم، فقد كان يعتمد على الملاحظة و التجربة لاستخلاص النتائج، لذلك جاء تصنيفه للمعادن وحديثه عن خصائصها دقيقا و مبنيا على أساس علمي.

ولعلي هذه القبسات المضيئة من سيرته العلمية تغري غيري بتسليط الضوء على آثاره و الوقوف على مكنونات جواهره و أحجاره، وهذا أقلّ ما نستطيع تقديمه لتراثنا العربي.

الإحـــــــــــــــــــالات

1 ـــــــ تحقيق التراث، د. عبد الهادي الفضلي، دار و مكتبة الهلال، بيروت، دار الشروق جدة، 1429ه0ـــ 2008م، ص 17.

2 ـــ أبو الخير الاشبيلي وكتابه "عمدة الطبيب في معرفة النبات"، مقال لسليمى محجوب، مجلة التراث العربي، ع85، شوال 1422ه ـــ جانفي 2002م، السنة الحادية و العشرون.

3 ـــــ تحقيق التراث ، ص 14.

4 ـــــ أبو الخير الاشبيلي وكتابه "عمدة الطبيب في معرفة النبات"، مقال سليمى محجوب.

5 ـــــ ينظر الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تح الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، ص 146.

6 ـــــ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، اعتناء محمد يوسف نجم، ط2، ج 8، دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن، 1402ه ـــــــــ 1982م، ص 289.

7 ـــ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن قسم مخلوف، خرَّج حواشيه وعلَّق عليه عبد المجيد خيالي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1424ه ـــ 2002م، ص 244.

8 ـــــــــ يُنظر "التيفاشي قمة سامقة في الجيولوجيا"، مقال للباحث صلاح عبد الستار الشهاوي، http://www.hiramagazine.com الأحد 1 مارس 2015، 21:50

9 ـــــ كشف الظنون، حاجي خليفة، مج1، ص 72.

10 ـــ يُنظر "التيفاشي قمة سامقة في الجيولوجيا"، مقال للباحث صلاح عبد الستار الشهاوي.

11 ـــــــ اكتفاء القنوع بما في المطبوع، لجامعه ادوارد فنريك، صححه وزاد عليه بعض الكلام السيد محمد على الببلاوي، مطبعة التآليف الهلال، بالفجالة مصر، سنة 1212ه ـــــ 1896م، ص225.

12 ـــــــــ ينظر حسن المحاضرة، للسيوطي، تح محمد ابو الفضل إبراهيم، ج2، ط1، 1387ه ـــــ 1968م، الصفحات: 340، 349،351،352، 354، 358، 364،374.

13ـــ نفسه، ، ص 354.

14 ـــــ نفسه، ص 351.

15 ـــــ الوافي بالوفيات، ، ص 289.

16 ــ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي، من موقع مكتبة المصطفي:-http://www.al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.php?file=001512-www.al-mostafa.com.pdf ، الأحد 1مارس 2015، على الساعة: 21:48 ص 48

17ـــــــــ الوافي بالوفيات، ، ص288.

18 ـــــــ نثار الأزهار في الليل و النهار، ابن منظور، ط1، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1298ه.

19 ـــ الروض المعطار، ص 146.

قائمة المصادر و المراجع

1ـــــــــــ اكتفاء القنوع بما في المطبوع، لجامعه ادوارد فنريك، صححه وزاد عليه بعض الكلام السيد محمد على الببلاوي، مطبعة التآليف الهلال، بالفجالة مصر، سنة 1212ه ـــــ 1896م.

2ـــــــ تحقيق التراث، د. عبد الهادي الفضلي، دار و مكتبة الهلال، بيروت، دار الشروق جدة، 1429ه0ـــ 2008م.

3ـــــــ حسن المحاضرة، للسيوطي، تح محمد ابو الفضل إبراهيم، ج2، ط1، 1387ه ـــــ 1968م.

4ـــــــ الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان.

5ـــ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن قسم مخلوف، خرَّج حواشيه وعلَّق عليه عبد المجيد خيالي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1424ه ـــ 2002م.

6ـــــــــــ نثار الأزهار في الليل و النهار، ابن منظور، ط1، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1298ه.

7ـــــــ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، اعتناء محمد يوسف نجم، ط2، ج 8، دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن، 1402ه ـــــــــ 1982م.

8ـــــــ أبو الخير الاشبيلي وكتابه "عمدة الطبيب في معرفة النبات"، مقال لسليمى محجوب، مجلة التراث العربي، ع85، شوال 1422ه ـــ جانفي 2002م، السنة الحادية و العشرون.

9 ـــــ "التيفاشي قمة سامقة في الجيولوجيا"، مقال للباحث صلاح عبد الستار الشهاوي، http://www.hiramagazine.com الأحد 1 مارس 2015، 21:50

10ـــــ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي، من موقع مكتبة المصطفي: http://www.al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.php?file=001512-www.al-mostafa.com.pdf ، الأحد 1مارس 2015، على الساعة: 21:48 ، ص 48